كلية الآداب واللغات

قسم الفنون

السنة الثانية ليسانس، دراسات سينمائية/ السداسي الرابع

مقياس: التركيب السينمائي

المحاضرة رقم 03 بعنوان:

" تشكل السرد السينمائي في السينما الصامتة"

السرد السينمائي ليس مجرد حكاية قصة، بل هو نظام لترتيب المعلومات البصرية لإنتاج معنى زمني ومكاني. في السينما الصامتة، كان التحدي هو: كيف نجعل المشاهد يفهم الماضي والحاضر، والداخل والخارج، والمشاعر الدفينة، دون أن ينطق الممثل بكلمة؟

نظريات المونتاج وتطورها:

لا يعد المونتاج مجرد عملية "لصق" للقطات، بل هو عملية بناء درامي وفكري. وتنقسم النظريات التي أشار إليها الكتاب أو مهد لها غريفيث إلى:

- **المونتاج السردي :(Narrative Editing)** وهو الأسلوب الذي رسخه غريفيث، حيث يهدف المونتاج إلى حكاية القصة بشكل سلس ومنطقي، مع الحفاظ على وحدة الزمان والمكان (أو توضيح الانتقالات بينهما).
- **خلق الإيقاع :**اكتشف غريفيث أن طول اللقطة يؤثر على مشاعر المشاهد؛ فاللقطات القصيرة

والسريعة تزيد من حدة التوتر والإثارة، بينما اللقطات الطويلة تمنح إحساسا بالهدوء أو التأمل.

- **الانتقال من "اللقطة" إلى "المعنى :"**مهدت ابتكارات غريفيث الطريق للمدرسة الروسية (مثل آيزنشتاين وكوليشوف) التي طورت لاحقا "مونتاج التأثير" أو "المونتاج الذهني"، حيث يؤدي وضع لقطتين بجانب بعضهما إلى توليد فكرة جديدة في ذهن المشاهد.

ويرى الدكتور فاروق الرشيدي أن غريفيث نقل السينما من مجرد "وسيلة للتسجيل" إلى "فن تعبيري". فالمونتاج عند غريفيث أصبح هو الأداة التي يتحكم من خلالها المخرج في توجيه انتباه المتفرج، وفي بناء الدراما السينمائية بناء على علاقة اللقطات ببعضها البعض، وليس فقط على ما تحتويه اللقطة الواحدة.

1. مدرسة "برايتون" (الرواد الإنجليز):

قبل غريفيث، كانت مدرسة برايتون (Brighton School) هي المختبر الأول لتفتيت السرد.

- **الانتقال من الكل إلى الجزء:** في فيلم "الميكروسكوب الخاص بالجد" (1900)، استخدم المخرج جورج ألبرت سميث أول لقطة قريبة (Close-up) كأداة سردية. هنا لم يعد المونتاج مجرد ربط بين مشهدين، بل أصبح أداة **لإعادة توجيه وعي المشاهد** نحو تفصيلة صغيرة داخل المشهد الواحد.

- **وجهة النظر (Point of View):** بدأت السينما تتعلم كيف تجعلنا نرى "بعيني البطل"، وهو ما خلق رابطا عاطفيا وسرديا لم يكن موجودا في المسرح.

2. ديفيد وارك غريفيث:

إذا كان هناك "نحو" للغة السينما، فقد وضعه جريفيث. هو لم يخترع اللقطات، بل اخترع نظام تتابعها.

ويعتبر غريفيث هو الأب الحقيقي للغة السينمائية الحديثة؛ فقبل غريفيث، كانت السينما تعتمد على تصوير المشهد كأنه عرض مسرحي (كاميرا ثابتة، كادر واسع، وتصوير الفعل من البداية للنهاية دون انقطاع).

أهم ما قدمه غريفيث في بداياته:

أ. تفتيت المشهد :(Breaking down the scene) كان غريفيث أول من أدرك أن المشهد لا يجب أن يُصور من زاوية واحدة ثابتة. بدأ بتقسيم المشهد الواحد إلى عدة لقطات (بعيدة، متوسطة، وقريبة)، مما سمح للمشاهد برؤية تفاصيل لم تكن واضحة من قبل.

ب. اللقطة القريبة :(The Close-up) استخدم غريفيث اللقطة القريبة ليس فقط لإظهار التفاصيل، بل للتعبير عن المشاعر الإنسانية وردود الأفعال، مما أعطى للسينما بُعدا نفسيا وعاطفيا عميقا.

ج. المونتاج المتوازي :(Parallel Editing) وهو من أشهر ابتكاراته. طور غريفيث أسلوب الانتقال بين حدثين يقعان في نفس الوقت في مكانين مختلفين (مثل مشهد المطاردة، أو مشهد "الإنقاذ في اللحظة الأخيرة")، مما ساهم في خلق حالة من التشويق (Suspense) لم تكن موجودة سابقا.

3. التعبيرية الألمانية:

في ألمانيا (الخمسينيات من القرن العشرين)، لم يكن المونتاج مجرد سرعة، بل كان انعكاسا للنفسية.

- **الذاتية السردية:** في أفلام مثل "عيادة الدكتور كاليجاري" أو "نوسفراتو"، يتم استخدام المونتاج لربط الظلال بالحقيقة، أو لربط لقطات مشوهة تعكس جنون البطل.
- **المونتاج داخل الكادر (Mise-en-scène):** أحيانا يكون السرد عبر ترتيب العناصر داخل اللقطة الواحدة بحيث لا نحتاج لقطع كثير، مما يخلق ثقلا سرديا يسمى "الجو النفسي".

4. المدرسة الفرنسية (الانطباعية) و"الفوتوجينية":

المخرجون الفرنسيون (مثل أبيل غانس) طوروا ما يسمى بـ المونتاج الإيقاعي السريع بعيدا عن الأيديولوجيا السوفيتية.

- **تجسيد المشاعر:** في فيلم "السكك الحديدية" (La Roue)، استخدم غانس لقطات قصيرة جدا (أحيانا كادر واحد) لتجسيد سرعة القطار أو اضطراب البطل.

- **الهدف:** ليس إيصال معلومة (كما فعل غريفيث) بل إيصال "إحساس" أو "حالة شعرية".

المكتبة البيبليوغرافية:

- فن المونتاج السينمائي، كاريل رايس، تر: أحمد الحضري
- اللغة السينمائية والكتابة بالصورة، مارسيل مارتن.